

رد فعل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على قضية سياسة الاندماج

## The attitude of the Association of Algerian Muslim Ulema to the French Assimilation policy

ط/د: خيرة ضاوي<sup>1\*</sup> د: إسمهان لعربي<sup>2</sup>

<sup>1</sup> كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1 احمد بن بلة (الجزائر)،

daoui.kheira@edu.univ-oran1.dz

<mailto:daoui.kheira@edu.univ-oran1.dz>

<sup>2</sup> كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1 احمد بن بلة (الجزائر)،

larismahene@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2022/10/08

تاريخ القبول: 2022/09/28

تاريخ الاستلام: 2020/08/10

### ملخص:

يتطرق المقال الى رد فعل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نحو سياسة الاندماج، حيث يتطرق في بداية إلى سياسة الإدماج ومقصود بها كفكرة، ثم ذكر من تبني هذا الاتجاه ومطالبهم المراد الوصول اليها، كما تعرض المقال لموقف الجمعية من قضية الاندماج التصدي له ومحاربه، والنتائج المترتبة المسألة. كلمات مفتاحية: جمعية العلماء، الإدماج، الاستعمار الفرنسي، النخبة، قضية.

### Abstract:

The article deals with the reaction and the attitude of the Association of Algerian Muslim Ulema (Scholars) towards the French assimilation policy, this policy was applied by the French colonialism in order to integrate the Algerians in French culture and society. Few Algerian militants and elites accept this project many others such as Association of Algerian Muslim Ulema fight against this policy in order to conserve the Algerian identity, and what was consequences of the question?

**Keywords:** Association of Algerian Muslim Ulema; French assimilation policy; French colonialism Algeria; cultural struggle; identity.

## 1. مقدمة:

استهدفت منها اصطدام الاستعمار الفرنسي في الجزائر بأمة إسلامية متشبثة بمقوماتها معتزةً بدينها، ومن هنا راح يستعمل وسائله الخاصة لزعزعة هذا التمسك، وذلك عن طريق ما عرف بسياسة التجنيس والاندماج وقد تأثرت به طبقة من المثقفين الجزائريين التي تبنت فكرة الاندماج لتحقيق المساواة بين الفرنسيين والجزائريين المضطهدين، ولكن هذه الأخيرة قد وجدت مجابهة من طرف العلماء لإرجاعها الى طريق الصواب.

ومنه نطرح الإشكال التالي: ما معنى الاندماج الذي كان ينادي به الاحتلال؟ ومن تبنى هذه

الفكرة؟ وهل حققت ما كانت تصبو اليه؟ وما موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من مسألة

الاندماج؟

## 2. سياسة الدمج والفرنسة:

امعانا من السلطات الفرنسية في طمس الهوية الإسلامية والجذور العربية للجزائر فقد عمدت منذ بداية الاحتلال إلى سنّ قوانين تحقيق هذه الغاية ومنها قانون الاندماج الذي أصدرته الحكومة الفرنسية في 22 جويلية 1834م الذي ينص على ان الجزائر هي الجزء الجنوبي من فرنسا لدرجة ان الدستور الفرنسي تضمن نصوصا مبكرة يعتبرها مقاطعة من الجمهورية الفرنسية تتمثل في التشريعات التي أصدرها البرلمان الفرنسي، بناء على هذا القانون فقد امطرت باريس على الجزائر من القرارات ما بلغ حوالي ثماني وخمسين قرارا في ظرف خمسة شهور، من بينها قرار ينشئ منصب حاكم مدني وآخر يلحق الجزائر مباشرة بفرنسا بواسطة دمج شؤونها في مختلف الوزارات بالحكومة الفرنسية في باريس<sup>1</sup>.

لقد كان للمستوطنين في الجزائر سلطة كبيرة على الحكومة الفرنسية، اذ ان اغلب القوانين التعسفية التي كانت تسنها وتفرض تطبيقها على الجزائريين في الأغلب منها كانت من مطالب المستوطنين الذين كانوا يريدون أن يضعوا أيديهم على أملاك الجزائريين، ومن مطالبهم هذا القانون الأخير الذي يسعى

<sup>1</sup>- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية (1900-1930)، ج 2، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ط4، سنة 1992م،

لمساواة الجزائر بفرنسا قانونيا لئلا يتمكنوا من فرض حكمهم المدني وبالتالي زيادة مكاسبهم السياسية والاقتصادية.

والجزائر في الواقع هي جزائر من اثنين، جزائر المستوطنين الفرنسيين وهي المقصودة هنا بالتمثيل مع فرنسا وجزائر الجزائريين وهي المهملة والمقصود ازاحتها وقهرها<sup>2</sup> ورغم ما ناله المستوطنون من امتيازات من قانون تهجير الأهالي وسياسة الاستيطان إلا أنهم لم يكتفوا بل كانوا يطلبون الأكثر وكان لهم ذلك، حيث لم تذهب جهودهم سدا بصدور قانون افريل 1845م الذي يتّص على تقسيم الجزائر إداريا الى ثلاثة عمالات بدل ثلاث نواحي عسكرية، والذي نالوا به صلاحيات أكثر من ذي قبل، كما نالوا مناصب إدارية جديدة مكنتهم من التحكم في إدارة بعض البلديات أو الولايات.

في 4 نوفمبر 1848 أعلن دستور الجمهورية الثانية في فرنسا في المادة 109 بأن الجزائر تعتبر أرضا فرنسية ومنحت الجمهورية الثانية ما بين عام (1848-1852) فرنسي الجزائر حقوقا تمثيلية في المجالس الفرنسية : 4 نواب في المجلس التأسيسي و3 نواب في المجلس التشريعي ومنحهم حق الانتخاب ثلثي أعضاء المجالس البلدية في الجزائر، كما استغل المستوطنون سياسة نابليون الثالث التي قلصت نفوذ العسكريين فاندفعوا للاستلاء على أراضي جديدة وعملوا على توسيع المنطقة العسكرية والمناطق المختلطة وأسسوا المزيد من القرى الاستيطانية الجديدة<sup>3</sup>.

وفي عام 1863 وبعد زيارة ثانية لنابليون الى الجزائر اصدر أمرا بوقف مصادرة الأراضي وإعلان المساواة الكاملة بين الجزائريين والفرنسيين" وانه يجب أن نقنع العرب بان فرنسا لم تأت الى الجزائر لاضطهاد أهلها ولكن لتجلب لهم الحضارة وان الجزائر لم تكن مستعمرة ولكن مملكة عربية، وان الأهالي تحت حماية فرنسا لهم نفس حقوق الكولون، وكما أنني إمبراطور للفرنسيين كذلك فأنا إمبراطور العرب والحقيقة أن هذه الفكرة لا أساس لها في الواقع، بل هي مجرد تهدئة لخواطر السكان والمحافظة على الأمر الواقع<sup>4</sup>.

<sup>2</sup>-احمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1985، ص18

<sup>3</sup>-صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين الى خروج الفرنسيين (814ق.م-1962م)، دار العلوم، عنابة، الجزائر، سنة 2002-2003، ص ص224، 225.

<sup>4</sup>- زيلوحة بوقرة، سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - نموذج)، ماجستير في علم الاجتماع الديني، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2008-2009، ص 81، 82.

واهم تشريع أصدره نابليون هو القرار المعروف بالقرار المشيخي والمؤرخ في 14 جويلية 1865 الذي ينص على أن الجزائريين رعايا فرنسيون ولكنهم يخضعون لإحكام الشرع الإسلامي، فإذا ما طلبوا الجنسية الفرنسية أصبحوا خاضعين للقانون الفرنسي. هذا القانون أوضح بأن الجنسية الفرنسية غير متناسبة مع الحالة المسلم الجزائري، وظل مستمرا مع بعض التعديلات في إصلاحات فبراير 1919 وكذلك إصلاحات 1947<sup>5</sup>.

### مفهوم الاندماج ومدلوله:

الإدماج هو التماثل بين المستعمرة ودولة الأصل في نظام الحكم والتسوية بينهما ويرتكز على فكرة: أن إقليم ما وراء البحر ليس إلا امتدادا لدولة الأصل، فيجب أن يوضع تحت نفس النظام هناك أو على الأقل تحت نظام مقارب له، وأن سكان الدولة الذين هم في الجانب الآخر من البحر يجب أن لا تكون حقوقهم وضماناتهم أقل من أولئك الذين يعيشون في الجزء الأقدم من الدولة بمعنى أن فتح المستعمرة جديدة لا يعني الا مجرد إضافة مقاطعة جديدة للنظام الإداري القائم في الدولة<sup>6</sup>.

وظاهر الإدماج غير باطنه، فظاهره هو تحقيق التماثل بين الدولة المستعمرة والدولة الأصل، كما لو كانت مجرد امتداد للثانية، فالتشريع واحد، والنظم واحدة، والمالية واحدة، والاقتصاد واحد، حتى الجيش والشرطة كلاهما واحد في البلدان اللذين صارا بلدا واحدا، بفعل الاندماج<sup>7</sup> هذا ظاهره، أما باطنه فهو لا ينطبق في الجزائر على الأرض الواقع ومن عليها من المستعمرين دون السكان الأصليين الذين تستهدف السياسة الاستعمارية إقصاءهم وإجلاءهم من أراضيهم، فالذي يريده المستعمرون هو إدماج أرض الجزائر في فرنسا لا التسوية بين الجزائريين والفرنسيين في الحقوق والواجبات، كما يقضي بذلك منطق الإدماج، فهو إدماج بالنسبة للمستعمرين ولكنه إخضاع للسكان الأصليين<sup>8</sup>.

<sup>5</sup> - أحمد حداد، الشيخ أحمد حماني ودوره في الحركة الإصلاحية والوطنية (1333-1419هـ / 1915-1998م)، دار الهدى للنشر الجزائر، 2014، ص 20.

<sup>6</sup> - حدة بولافة، واقع المجتمع المدني الجزائري ابان فترة الاستعمارية وبعد الاستقلال، ماجستير في العلوم السياسية، جامعة لخضر باتنة، 2010/2011، ص 15.

<sup>7</sup> - رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ط3، 1981، ص 63.

<sup>8</sup> - عبد الحفيظ بوعبد الله، فرحات عباس بين الاندماج والوطنية (1919-1962)، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة حاج لخضر باتنة، 2005/2006، ص 50.

3-اتحادية المنتخبين المسلمين الجزائريين: في خريف 1927، قامت جماعة من أعضاء النخبة في قسنطينة بإنشاء اتحادية هدفها التعاون والاتحاد أيام لانتخابات، وكان أعضاء الاتحادية في أول عهدها من الموظفين لدى الإدارة الفرنسية المعروفين بـ:(بنى وي وي) برئاسة السيد شريف سيسبان الذي أصبح سنة 1941 مستشارا وطنيا.

وقد تطورت اتحادية المنتخبين بسرعة واتسع نشاطها في كل الميادين، ولاسيما بعد أن انضم اليها الدكتور محمد الصالح بن جلول الذي أصبح فيما بعد يحتل مكانة مرموقة في النيابة المالية، وأدى وصول ابن جلول لهذا الميدان الى تنافس حاد بين عائلتي ابن جلول ومحمد بن باديس في ميدان الانتخابات والمجالس العامة وفي النيابات المالية<sup>9</sup>.

وكان ابن جلول وأصدقاؤه من النخبة ينعتون محمد بن باديس والشريف سيسبان وأصدقاؤهما بـ:(بنى وي وي) وقاموا سنة 1931 بعزل الشريف سيسبان من رئاسة الاتحادية .

ومنذ هذه السنة (1931) أصبحت الاتحادية تضم الأطباء، المحامين، والأساتذة، والصحافيين، والقضاة والصيدالة الجزائريين، بالإضافة الى أعضاء آخرين من العائلات الكبيرة والتجار كانوا لا يرون النور خارج الإطار الفرنسي. ومن أبرز زعماء هذه الاتحادية الدكتور ابن جلول، والدكتور سعدان المستشار العام ببسكرة، والدكتور الاخضري المستشار العام والنائب المالي بقلملة، هذا على مستوى قسنطينة، أما عمالتي الجزائر ووهران فقد وقع مثل ما حدث في قسنطينة، ففي الجزائر كانت الاتحادية برئاسة الدكتور بشير وفي وهران كانت زعامة السيد مكلي<sup>10</sup>.

وأعضاء هذه الاتحاديات ومن ينتمي اليها من النخبة والنواب كانوا ينادون بالاندماج مع فرنسا بدعوى أنها مرحلة أولى من مراحل تحرير الجزائر في نهاية الامر حسب مفهومهم السياسي، وكانت أهداف هذه المنظمة كما وصفها فرحات عباس الذي يعتبر أحد زعمائها البارزين تلتخص فيما يلي<sup>11</sup>:

-احترام الحضارة الإسلامية واللغة العربية.

<sup>9</sup>-عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية(1931-1945)، ط1، 1998، ص230.

<sup>10</sup>-المرجع نفسه، ص 230، 231.

<sup>11</sup>- المرجع نفسه، ص231.

-التخلي عن نظرية الامتياز العنصري .  
-المساواة في الحقوق السياسية بين الجزائريين والمستوطنين.  
-النهوض بالمجتمع الجزائري وتحويله من مجتمع متخلف الى مجتمع حديث.  
-ان الشعب الجزائري يطمح الى الاستفادة من الحضارة الأوروبية دون أن يفقد حضارته الخاصة  
ومعنى آخر فان مطالب هذه الجماعة تنصب في المطالبة بمساواة الجزائريين مع الفرنسيين في الحقوق  
السياسية، والاجتماعية، أي تحقيق الادمج<sup>12</sup>  
وكان نشاطها يتمثل في محاولة تحرير الجزائريين من الأنظمة الاستعمارية الصارمة المفروضة عليهم  
بوصفهم رعايا فرنسيين وبعبارة أخرى أن هدف أعضاء هذه الحركة، هو الحصول تدريجيا على الحقوق  
الفرنسية للجزائريين عن طريق الادمج في فرنسا، مع المحافظة على الشخصية الإسلامية المتمثلة في قانون  
الأحوال الشخصية الإسلامي في الزواج، والطلاق، والميراث. ويرون أن الادمج هو الخطوة الأولى للوصول  
الى مرحلة تقرير المصير في النهاية<sup>13</sup> .  
وقد رحبت جماعة النخبة بمشروع بلوم فيوليت الذي يستهدف الدمج التدريجي للجزائريين في المجتمع  
الفرنسي مع المحافظة على قانون الأحوال الشخصية للمسلمين الجزائريين. وقد أصبح الدكتور ابن جلول  
منذ سنة 1933 رئيسا لوحدة النواب الجزائريين التي أحرزت على أغلبية المقاعد في الانتخابات البلدية  
سنة 1934. وقد لعب كل من فرحات عباس والدكتور ابن جلول دورا هاما في السياسة الجزائرية خلال  
الثلاثينيات، ولا سيما هذا الأخير الذي أصبح في مواجهة الاحداث منذ الشهر أوت 1934، وسلطت  
عليه الأضواء كثيرا حتى قيام الحرب العالمية الثانية.  
ويبدو في المقابل أن "فرحات عباس" أحد الأعمدة الأخرى للاندماج والذي كانت حياته السياسية تاريخا  
للبحث عن وطن في فرنسا، كان يعاني شخصيا وفكريا من خيبات الأمل المتتالية إزاء السياسة الفرنسية  
ووعودها التي لم يتحقق منها شيء. وكانت سنة 1937م بداية الشعور بالمرارة والفشل وبالتالي تغييره إلى  
الوطنية وتوجهه إلى الشعب وتعبيراته الأكثر سيادة وخاصة بعد:

<sup>12</sup> - المرجع نفسه، ص 232.

<sup>13</sup> - رابع تركي، المرجع السابق، ص 64.

1- وقائع القمع الوحشي التي أعقبت اضطرابات 1934 بقسنطينة، وكذا سنة 1936 التي استعملت فيها فرنسا الجيش، والطيران، وأمرت بتسليح الكولون، وطردها من العمال الجزائريين وفرض الضرائب الباهظة ثم تصريجات ساستها المستفزة إزاء الوطنيين والجماهير الجزائرية<sup>14</sup>

2- قرار رينيه الذي حنق الحريات سنة 1935، وأصدر العفو العام على المحكومين بمقتضى ذلك القرار، وإلغاء قراري 8 و13 مارس 1938 اللذين استهدف أولهما محاربة التعليم العربي الحر، وثانيهما استهدف وضع حد لنشاط النوادي العربية، كما طالبوا برفع عدد النواب المسلمين في المجالس المحلية المنتخبة بنسبة 2 و5 وتطبيق مشروع فيوليت بقرار حكومي، مادامت الحكومة المتمتعة بالسلطة المطلقة بدلا من مناقشته في البرلمان<sup>15</sup>

وحين اندلعت الحرب الثانية تطوع أبرز زعماء النخبة لخدمة العلم الفرنسي أمثال: الدكتور ابن جلول، وفرحات عباس، والدكتور الأخضرى دفاعا عن " الوطن المهدد، واعطوا بذلك المثل لأنصارهم، وعبروا عن ولائهم لفرنسا أم الوطن"<sup>16</sup>

معتقدين أن مشاركتهم في الحرب الى جانب فرنسا هو انتصار للسلام، والحرية والديمقراطية وخدمة للإنسانية<sup>17</sup>

ولكن عادت بعد هزيمة فرنسا أمام ضربات النازيين الى مطالبة من جديد بالإصلاحات الاهلية، ذلك أن هذه الجماعة قد اصطدمت بالواقع وهو أن الجزائريين رغم ما قدموه من خدمة للعلم الفرنسي ظلوا يعانون من التمييز العنصري، والحرمان السياسي والاقتصادي والاجتماعي في بلادهم.

ففي شهر افريل سنة 1941 وجه السيد فرحات عباس وزملاؤه الذين انسحبوا من اتحادية المنتخبين التي أصبحت سنة 1941 منحلة تماما وغير معترف بها من طرف الإدارة. وجهوا رسالة في شكل برنامج الى المارشال بيتان le maréchal Pétain اقترحوا فيها مجموعة من الإصلاحات كانت أكثر حدة

<sup>14</sup> - مفيدة بلهامل، وسائل الاتصال عند الجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ماجستير في الدعوة والاعلام، جامعة قسنطينة للعلوم الإسلامية، 1996/1997، ص121.

<sup>15</sup> - درس شعبي في الانتخابات، أ ب، الشهاب، مج15، ج4، ماي1939، ص191، 192.

<sup>16</sup> - ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، دار الغرب، بيروت، ج3، 1992، ص70.

<sup>17</sup> - المرجع نفسه، ص80.

من العقود الماضية، وتضمنت هذه المطالب إصلاحات سياسية، واقتصادية، وثقافية، واجتماعية، جعلوا تحقيقها شرطا لمشاركتهم في الحرب الى جانب فرنسا<sup>18</sup>

وبعد نزول الحلفاء أواخر 1942 في الجزائر أخذت المنظمات السياسية تلم شعثها وتوحد صفوفها، وحددت برنامجا مشتركا ووجهت الى السلطات الفرنسية بيانا لم يحظ بأي جواب، فاجتمع النواب مرة أخرى وقرروا وضع ميثاق جديد يتضمن مطالب الشعب الجزائري، وقد صادق على هذا الميثاق الذي عرف بالبيان الجزائري جميع ممثلي الاتجاهات البارزة في البلاد.

وفي 14 مارس 1944 نادى فرحات عباس بإنشاء " جمهورية جزائرية متحالفة مع جمهورية فرنسية جديدة غير استعمارية ولا استبدادية.

وهكذا فان النواب الذين صنعهم الاستعمار وجعل منهم عبيدا طائعين وعملاء خاضعين تحولوا بعد أن تأكدوا من سلبية مواقفهم خلال العقود السالفة الى وطنيين مخلصين يدافعون عن قضية بلادهم، ويطالبون بالحرية الاقتصادية والسياسية لشعبهم.

وأصبحت مطالب النخبة التي كانت قبل الحرب الثانية لا تخرج عن برنامج فيوليت الذي كان يستهدف دمج الطبقة الجزائرية الممتازة تدريجيا في الحياة الفرنسية بما تحتويه هذه الكلمة من معنى، أصبحت منذ 1943 من بين المعارضين للحكم الفرنسي في الجزائر<sup>19</sup>

كما أن المستوطنين الاوربيين في الجزائر حاربوا فكرة إعطاء بعض الجزائريين الجنسية الفرنسية لأنهم اعتبروا ذلك خطرا يهدد نفوذهم في مستقبل الأيام وهكذا فشلت فكرة الادمج.

(والملاحظ أن الادمج انتهى دوره وانتهت الدعوة اليه في الجزائر ببداية الحرب العالمية الثانية حيث اجتازت كل الحركات الوطنية أنصاف المطالب، لتقترب كثيرا من برنامج حزب الشعب الجزائري الذي ينادي بالاستقلال التام للجزائر في إطار حضارتها العربية الإسلامية<sup>20</sup>.

#### 4. موقف جمعية العلماء المسلمين منها:

كما وقفت جمعية العلماء المسلمين ضد التحنس والمتحسين كذلك عملت على قطع الطريق على دعاة الاندماج لتمنعهم من المساهمة الاستعمار في مسخ هوية الشعب الجزائري وتحويله إلى

<sup>18</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص 235.

<sup>19</sup> - المرجع نفسه، ص 236.

<sup>20</sup> - رابح تركي، المرجع السابق، ص 65.



شعب فرنسي خوفا منها على المجتمع الجزائري أن يضمحل ويذوب في فرنسا، ومن المواقف التي ظهرت بها الجمعية في هذا المجال رد على مقال لفرحات عباس قد كتب في جريدة "الوفاق" (التي تصدر باللغة الفرنسية، واسمها "L'entente")، يوم 23 فبراير 1936، مقالا تحت عنوان: "فرنسا هي أنا"<sup>21</sup> في جريدة الشهاب: "قال بعض من النواب المحليين، ومن الأعيان، ومن كبار الموظفين بهذه البلاد، ان الامة الإسلامية الجزائرية مجمعة على اعتبار نفسها امة فرنسية بحتة، لا وطن لها الا الوطن الفرنسي، ولا غاية لها الا الاندماج الفعلي التام في فرنسا، ولا امل لها في تحقيق هذه الرغبة الا بان تمد يدها بكل سرعة، فتلغى جميع ما يحول دون تحقيق الاندماج التام، بل قال احد النواب الناهجين أنه فتش عن القومية الجزائرية في بطون التاريخ فلم يجد لها من الأثر، وفتش عنها في الحالة الحاضرة فلم يعثر لها على خبر، وأخيرا أشرقت عليه أنوار التحلي فإذا به يصيح: فرنسا هي أنا، ورد ابن باديس على قوله هذا بقوة في كلمة صريحة فقال: "إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موحدة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا، ولهذه الامة تاريخها الحافل بملائل الاعمال، ولها وحدتها الدينية واللغوية، ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها، وأخلاقها، بما فيها من حسن وقبيح شأن كل أمة في دنيا."

ثم يقول: "ثم أن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا ولا تريد أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها لا تريد أن تندمج"<sup>22</sup>

تأكيد الشيخ بن باديس بأن الأمة الجزائرية لها مقوماتها ومميزاتها الوطنية والقومية، فقد دل التاريخ وتجاربه الزمنية، بأن هذه الأمة أشد الأمم محافظة على قوميتها وشخصيتها ومميزاتها<sup>23</sup> وما زادها الدهر إلا قوة وتشبثا بأهدافها، وقد ثبت أنه من المستحيل إضعاف هذه الأمة في دينها ولغتها وثقافتها، ولا يمكن بأي حال من الأحوال إدماجها أو محوها<sup>24</sup>

<sup>21</sup> - علي بن محمد، مرجعيات الهوية الوطنية في فكر عبد الحميد بن باديس، اعمال الملتقى الدولي حول فكر السياسي عند عبد الحميد بن باديس، قسنطينة 19، 18، ماي 2012، ص 33.

<sup>22</sup> - كلمة صريحة، عبد الحميد بن باديس، الشهاب، مج 12، ج 1، ابريل 1936، ص 46، 48.

<sup>23</sup> - عبد العزيز الفيالي، رحلات الامام عبد الحميد بن باديس الى الخارج ودوره في المؤتمر الإسلامي، منشورات مؤسسة

الامام الشيخ عبد الحميد بن باديس، دار الهدى، 2019، ص 149.

<sup>24</sup> - المرجع نفسه، ص 150.

يقول ابن باديس:

شعب الجزائر مسلم      والى العروبة ينتسب  
من قال حاد عن اصله      او قال مات فقد كذب  
أورام ادماجا له      رام المحال من الطلب<sup>25</sup>

وقد كتب الشيخ محمد البشير الابراهيمي يقول «: حاربت جمعية العلماء سياسة الاندماج، في جميع ظاهرها، فقاومت التجنس ودعاته المقاويل حتى قهرتهم وأخرستهم، وقطعت الحبل في أيديهم، ثم أفتت فتواها الجريئة فيه يوم كانت الجرأة في مثل هذه المسائل بابا من العذاب، فكان ذلك منها تحديا للاستعمار، وابطالا لكيده، وتعطيلا لسحره، و أثبتت بتلك المواقف الجريئة للجزائر إسلاميتها، و حاربت العنصرية التي كان الاستعمار يغذيها، و يعدها من أمضى أسلحته لقطع أوصال الأمة و أثبتت بذلك للجزائر قوميتها العربية. و حاربت آخر ما حاربت لائحة السابع من مارس سنة 1944 بشدة وقوة، و شنت بها في دروسها، وخطبها، و بينت للأمة الدسائس التي تنطوي عليها اللائحة وأنها وسيلة شيطانية إلى الاندماج جيء بها بعد خيبة الوسائل التي قدمتها»<sup>26</sup>

استطاعت جمعية العلماء ابطال فكرة الاندماج فرنسية محضة بالوعي عن طريق الصحافة والدروس والعمل على نشر الثقافة الإسلامية العربية، و بث روح الاعتزاز بالتراث العربي الإسلامي في نفوس الجزائريين، و بإنعقاد المؤتمر الإسلامي حيث نشر عبد الحميد بن باديس فكرة عقد المؤتمر في جريدة "لاديفانس" في عددها الصادر يوم 02 جانفي 1936، وكان أول من فكر فيه، وذلك قبل فوز الجبهة الشعبية بأشهر قليلة، وعند نجاح هذه الأخيرة أصبح عقد المؤتمر ميسورا ومؤكدا، وفي ذلك يقول الشيخ البشير الإبراهيمي: "يسجل التاريخ المنصف فكرة عقد المؤتمر الإسلامي الجزائري للأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس، فقد كان نشر في جريدة (لاديفانس) في عددها الصادر في 3 جانفي 1936 آراء له في السياسة الجزائرية".<sup>27</sup>

<sup>25</sup> - تحية المولد الكريم أقيمت ليلة حفلة جمعية التربية والتعليم بقسنطينة، عبد الحميد بن باديس الشهاب، مج 13، ج 4، 11 جوان 1937، ص 201.

<sup>26</sup> - جمعية العلماء "أعمالها ومواقفها" 3، محمد البشير الإبراهيمي، البصائر، السلسلة الثانية، ع 04، 29 أوت 1947، ص 30.

<sup>27</sup> - محمد البشير الابراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الابراهيمي، الآثار الامام البشير الابراهيمي، ج 1، دار الغرب الإسلامي، سنة 1997، ط: 1، ص 247.

ولقد لقيت فكرة ابن باديس استحسانا كبيرا في الأوساط السياسية والثقافية، كما أيدتها شخصيات بارزة في الجزائر، ولقد تزامنت فكرة ابن باديس في عقد المؤتمر الإسلامي مع الأحداث السياسية التي عرفتها فرنسا، وخصوصا فوز الجبهة الشعبية التشريعية الفرنسية وإشرافها على تشكيل حكومة جديدة، ويرى الإبراهيمي أن فكرة ابن باديس في عقد المؤتمر أكيدا، يقول الإبراهيمي في ذلك : وأما وقد فازت الجبهة الشعبية في الانتخابات التشريعية وأصبحت أزمة الحكومة الفرنسية بيدها، فقد أصبح عقد المؤتمر ميسورا ومؤكدا في أن واحد<sup>28</sup>، وقد وجهت جمعية العلماء نداء عبر الجرائد والمجلات لكل الشرائح الموجودة في المجتمع الجزائري لحضور هذا المؤتمر دون إقصاء أو تهميش لأحد، كما قامت بتشكيل لجان تحضيرية- كان الإبراهيمي على رأسها -تضم الشباب والعمال ورجال الصنائع والفلاحين وقدماء المحاربين في قسنطينة والجزائر وتلمسان وبعض مدن القطر<sup>29</sup> كما دعت جمعية العلماء الحاضرين في المؤتمر أن ينظموا مطالبهم الخاصة ويقدموها إلى هيئة المؤتمر لإعادة صياغتها من جديد. وقد تمت صياغة مطالب المؤتمر، التي صودق عليها بالإجماع، وتم طبعها في كراسة سميت "كراس المؤتمر الإسلامي الجزائري" ليقدّم إلى الهيئات المعنية، يصحبها وفد من أعضاء المؤتمر.

وقد تلخصت مطالب المؤتمر في :

- إبطال القوانين الاستثنائية المختصة بالأهالي المسلمين.
- ضم الجزائر إلى الحكومة باريس وإلغاء الولاية العامة بالجزائر.
- احتفاظ الجزائريين بمقوماتهم الوطنية.
- فصل الدين عن الحكومة .
- ألغاء جميع القوانين الصادرة ضد اللغة العربية، مع الحرية التامة في التعليم والصحافة.
- جعل التعليم في القطر الجزائري اجباريا على البنات والبنين.
- تشيد المدارس وتوحيد التعليم بين أبناء الجزائريين وأبناء الأوروبيين على السواء .
- الإكثار من المشاريع الخيرية، وبناء المستشفيات لإسعاف المرضى.
- المساواة في الأجر بين الجزائريين والأوربيين.
- توزيع الإمدادات المالية التي تمد بها الميزانية الجزائرية على الفلاحة والصناعة والحرف والتجارة.

<sup>28</sup>-المصدر نفسه، ص 247.

<sup>29</sup>- المصدر نفسه، ص 248.

-تأسيس جمعيات لمساعدة الفلاحين وتشييد معاهد لتعليمهم وتدريبهم على العمل.  
-توزيع الأراضي الحكومية غير المستثمرة على الفقراء والفلاحين والعمال.  
-العفو عن الساسة المعتقلين .  
-توحيد الانتخابات بين الجزائريين والفرنسيين نيايا ومحليا.  
-تمكين جميع المنتخبين من ترشيح أنفسهم للنياية.  
-تعميم حق الانتخاب لكل مسلم جزائري وإعطاء حق التمثيل البرلماني للمسلمين.  
وفور انتهاء المؤتمر وصياغة المطالب أرسلت مع وفد إلى باريس يوم 23 جويلية 1936 برئاسة " بن جلول"  
وثلاثة علماء من الجمعية هم بن باديس والابراهيمى والعقبى<sup>30</sup>. وبالرغم من أن وفد المؤتمر عاد من باريس  
خاوي الوفاض، ولم يحقق النتائج المنتظرة منه، إلا أن هذا لم يقلل من شأن المؤتمر، بل يمكن القول أنه  
استطاع أن يسمو بالفكر السياسي للجماهير الجزائرية، فانتشر الوعي السياسي لدى الشعب الجزائري  
وتمكنت القوى الوطنية على الرغم مما بينها من اختلاف أن تجمع الجماهير على جملة المطالب كانت في  
ذلك الوقت تعبيرا حيا عن مدى التغيير الذي طرأ على العقلية الجزائرية"<sup>31</sup>  
وخلال الحرب العالمية الثانية تجدد التقارب بين الجمعية وأعضاء النخبة مع إعلان البيان المشهور ( بيان  
فيفري 1943) ويبدووا واضحا أن للاستعمار دور كبير في هذا التقارب من خلال رفضه لأي إصلاحات  
أو حتى الوفاء بالوعود التي قطعها على نفسه خلال الحربين، وبذلك وجد النواب والعلماء أنفسهم في  
دائرة واحدة وأمام قضية واحدة<sup>32</sup>

#### 4. خاتمة:

نستخلص في الأخير ان الاحتلال الفرنسي منذ دخوله للجزائر عمل على تملك الأرض والعباد  
ومحو كيانه. بانتهاجه سياسة الفرنسة والدمج فيها بسن قوانين وسياسات خاصة لذلك، ومنها سياسة

<sup>30</sup>-احمد خطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، ص248.

<sup>31</sup>-محمد زرمان، معالم الفكر السياسي والاجتماعي عند الشيخ البشير الابراهيمى، منشورات جامعة باتنة، الجزائر،  
1998، ص61.

<sup>32</sup>- رابع فلاحى، جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر(1908-1954)، ماجستير في التاريخ الحديث  
والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، ص126.

الاندماج التي في ظاهرها تحقيق التماثل بين الدولة المستعمرة والدولة الأصل، ولكن باطنه كان غير ذلك بل هدفه اخضاع سكان الأصليين.

وقد تبني هذا الطرح حزب الاتحادية المسلمين الجزائريين الذي يضم نخبة من المثقفين ثقافة فرنسية ترغب في الاندماج بفرنسا مع الاحتفاظ بأحوال الشخصية الإسلامية وكانت رأيهم في هذا الباب الحل الأمثل لتخلص من العنصرية والاضطهاد ومعناته القاسية والقوانين الجائرة. ومطالبة بمساواة الجزائريين مع الفرنسيين في الحقوق السياسية والاجتماعية.

وتعلقت كذلك النخبة بمشروع بلوم فيوليت الذي يستهدف الدمج التدريجي للجزائريين في المجتمع الفرنسي مع الحفاظ على أحوال الشخصية الإسلامية. وبروز ابن جلول وفرحات عباس في دفاع ن هذا الاتجاه وبحث عن الوطن في فرنسا وقد توالى عليهم خيبات الامل نتيجة السياسة الفرنسية ووعودها التي لم تتحقق منها شيء.

وكانت سنة 1937م بداية الشعور بالمرارة والفشل وبعد هزيمة فرنسا امام المانيا عادت نخبة الى المطالبة من جديد بالإصلاحات أهلية لكنها اصطدمت بالواقع وهو ان الجزائريين رغم ما قدموه من خدمة للعلم الفرنسي ظلوا يعانون من التمييز العنصري والحرمان السياسي والاقتصادي والاجتماعي في بلادهم. وعدلوا عن فكرة الاندماج وصاروا من بين المعارضين للحكم الفرنسي وكان موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الاندماج الرفض القاطع ومحاربة الفكرة في حد ذاتها، ومحاوله اقناع من تبناوا هذا الاتجاه بأن فرنسا تسعى لطمس هوية الشعب الجزائري كما احتلت بلاده وأصبح غريبا فيها.

وقد واجهت جمعية كل ما يمس بالأمة والتأكيد على أن الامة الجزائرية ليست هي فرنسا وأنها بعيدة عنها كل البعد في لغتها وأخلاقها وعنصرها ودينها ولا تريد ان تندمج.

وكان المؤتمر الإسلامي الحاسم الذي ضم أغلب التيارات السياسية في الجزائر لتقدم مطالب إصلاحية موحدة لفرنسا ومنه اثبات للنخبة أن فرنسا لن تقبل وتحقق ذلك وخيبات الجمهورية الفرنسية آمل النخبة واقناعها بأن فرنسا هي فرنسا، وان دمج مع الاستعمار لن يكون .

وبذلك نجحت جمعية العلماء المسلمين في محاربة سياسة الاندماج الامة الجزائرية العربية الإسلامية بالاستعمار الذي أراد طمس المجتمع الجزائري وتجريده من هويته.

## 5. قائمة المراجع:

- 1- الابراهيمى محمد البشير ، جمع وتقديم: أحمد طالب الابراهيمى، الآثار الامام البشير الابراهيمى ، ج1، دار الغرب الإسلامى، سنة1997، ط:1 .
- 2- البصائر، السلسلة الثانية، العدد 04، 29 اوت.1947
- 3-بلهامل مفيدة، وسائل الاتصال عند الجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ماجستير في الدعوة والاعلام، جامعة قسنطينة للعلوم الإسلامية، 1997/1996.
- 4-بوقرة زيلوخة، سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر(جمعية العلماء المسلمين الجزائريين -نموذجا)، ماجستير في علم الاجتماع الديني، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2008-2009.
- 5- بولافة حدة، واقع المجتمع المدني الجزائري ابان فترة الاستعمارية وبعد الاستقلال، ماجستير في العلوم السياسية، جامعة لخضر، باتنة، 2010-2011 .
- 6- فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفنيقيين الى خروج الفرنسيين(814ق.م-1962م)، دار العلوم، عنابة، الجزائر، سنة2002-2003.
- 7- زرمان محمد، معالم الفكر السياسي والاجتماعي عند الشيخ البشير الابراهيمى، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، 1998.
- 8-حداد احمد ،الشيخ أحمد حماني ودوره في الحركة الإصلاحية والوطنية (1333-1419هـ / 1915-1998م)، دار الهدى للنشر الجزائر،2014.
- 9- سعد الله ابو القاسم ، الحركة الوطنية، دار الغرب، بيروت، جزء3، سنة 1992.
- 10- بوعبد الله عبد الحفيظ ، فرحات عباس بين الادمج والوطنية(1919-1962)، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة حاج لخضر باتنة، 2006/2005.
- 11- فلاحى رابع، جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر(1908-1954)، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة.

- 12- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية(1931-1945)، طبعة 1، 1998.
- 13- الفيلاي عبد العزيز، رحلات الامام عبد الحميد بن باديس الى الخارج ودوره في المؤتمر الإسلامي، منشورات مؤسسة الامام الشيخ عبد الحميد بن باديس، دار الهدى، 2019.
- 14- الشهاب، مجلد 13، جزء 4، 11 جوان 1937 و مجلد 12، جزء 1، ابريل 1936. و مجلد 15، جزء 4، ماي 1939.
- 15- الخطيب أحمد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1985.